

Dynamics of the emerging centers of Boudinar and Krouna: a geographical study in the province of "Driouch, North-East Morocco

Adil Akallouch¹; Sadik Azzouzi²

¹ Sidi Mohammed Ben Abdullah University, Fez

² Mohammed I University of Oujda

Email 1 : adil.akallouch@usmba.ac.ma

Email 2 : azzouzi.sad@gmail.com

 1: <https://orcid.org/0009-0004-8813-1722>

 2: <https://orcid.org/0000-0002-3110-4262>

Abstract

This in-depth study investigates the dynamics of urban and developmental growth in the emerging centers of Boudinar and Krouna, located in the Driouch region of Northeast Morocco. The study aims to explore and understand the significant influences of demographic, economic, and social factors on the urban fabric of these centers. It employs a detailed analytical methodology that blends quantitative and qualitative research, including extensive field visits and comprehensive interviews with residents and experts. Additionally, the study leverages historical research to track the temporal changes in these centers, providing a clear picture of the ongoing urban and social transformations and their impacts on these communities.

Keywords : Boudinar and Krouna, Driouch province, Human Geography, Quantitative and Qualitative Analysis, Historical Studies.

دينامية المراكز الصناعية بودينار وكرونة: دراسة جغرافية بإقليم "الدريوخ شمال شرق المغرب"


عادل اقلوش¹؛ صادق عزوزي²

¹ جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس - المغرب

² جامعة محمد الأول بوجدة - المغرب

الاييميل 1: adil.akallouch@usmba.ac.ma

الاييميل 2: azzouzi.sad@gmail.com

 حساب 1: <https://orcid.org/0009-0004-8813-1722>

 حساب 2: <https://orcid.org/0000-0002-3110-4262>

ملخص

تعالج هذه الدراسة دينامية التعمير والتطور العمراني في المركزين الصناعيين بودينار وكرونة، وهما منطقتان ريفيتان في إقليم الدريوش بشمال شرق المغرب. تهدف الدراسة إلى تحليل التأثيرات المتعددة للعوامل الديموغرافية، الاقتصادية، والاجتماعية التي أدت إلى تطور المشهد العمراني في هذه المناطق. تعتمد الدراسة على منهجية تحليلية تجمع بين البحث الكمي والنوعي، بما في ذلك الزيارات الميدانية والمقابلات، وكذلك الاعتماد على الدراسات التاريخية لفهم التطور العمراني عبر الزمن.

الكلمات المفتاحية: التطور العمراني، بودينار وكرونة، الجغرافيا البشرية، التحليل الكمي والنوعي، الدراسات المجالية.

مقدمة

في إطار البحث الجغرافي والتخطيط العمراني، تُعد دراسة ديناميات المراكز الصناعية موضوعاً حيوياً يتيح فهم التطورات الاجتماعية والاقتصادية في سياقات محلية محددة. تنطلق هذه الدراسة من إقليم الدريوش، الواقع في شمال شرق المغرب، لاستكشاف العوامل المؤثرة في نمو وتطور بودينار وكرونة كمركزين صاعدين. يتم توجيه التركيز في هذه الدراسة نحو تحليل التأثيرات الديموغرافية، الاقتصادية، والاجتماعية التي ساهمت في رسم ملامح النمو العمراني في هذه المناطق. يُعد الإقليم مثلاً فريداً للبحث نظراً لتنوعه الجغرافي والثقافي وكونه نقطة التقاء بين التقاليد العريقة والتحولت الحديثة.

تعتمد الدراسة على منهجية متكاملة، مستفيدة من تحليل البيانات الإحصائية والميدانية لتقديم نظرة شاملة على التحولات الجارية. كما تسعى إلى ربط هذه التحولات بالسياقات الأوسع للتطور العمراني في المغرب، مما يوفر فهماً أعمق للعوامل المحركة للتغيير في هذه المناطق الريفية النامية. من خلال هذا البحث، نهدف إلى إسهام فهم أوسع للديناميات الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية التي تشكل المشهد العمراني في شمال شرق المغرب

1 - المنهجية والأدوات

اعتمدنا على منهجية تقوم على أساس الجمع بين عدة مقاربات نظراً للطبيعة المركبة للموضوع وكذا الدراسة الجغرافية التي تفرض تارة المنهج الوصفي قصد وصف مكونات المجال والملاحظة الدقيقة لمعرفة خصوصياته، و تارة أخرى المنهج التاريخي لرصد تاريخ الاستقرار البشري و تتبع مراحل تطور الظاهرة المدروسة، دون أن ننسى أهمية الإحصائيات من أجل جمع المعطيات ومحاولة تكميم الظاهرة المدروس ، و قد حاولنا الانطلاق من ما هو عام وصولاً إلى ما هو خاص معتمداً على المنهج الاستنباطي.

إن كل مرحلة من مراحل البحث تستوجب الاعتماد على مجموعة من الأدوات قصد تحقيق الأهداف المتوخاة من الدراسة، فقد قمنا ب:

○ البحث في مختلف المراجع والبحوث والمقالات ذات الصلة بالموضوع من أجل معرفة النتائج التي توصل إليها الباحثين الآخرين؛

○ زيارات ميدانية متكررة من أجل الوقوف على المجال عن قرب وملامسة الواقع :

○ مقابلات وزيارات إلى المصالح الإدارية المشرفة وذات الصلة بالمجال من أجل جمع أكبر قدر ممكن من المعطيات المتوفرة؛

○ تعبئة الاستمارات التي خصت أرباب الأسر بكل من مركز كرونة كما تم الاعتماد على مجموعة من التقنيات المتمثلة في البرامج المعلوماتية، كبرامج نظم المعلومات الجغرافية (SIG) خاصة من أجل إنجاز الخرائط وتمثيل المعطيات وتحليلها.

2-النتائج ومناقشتها

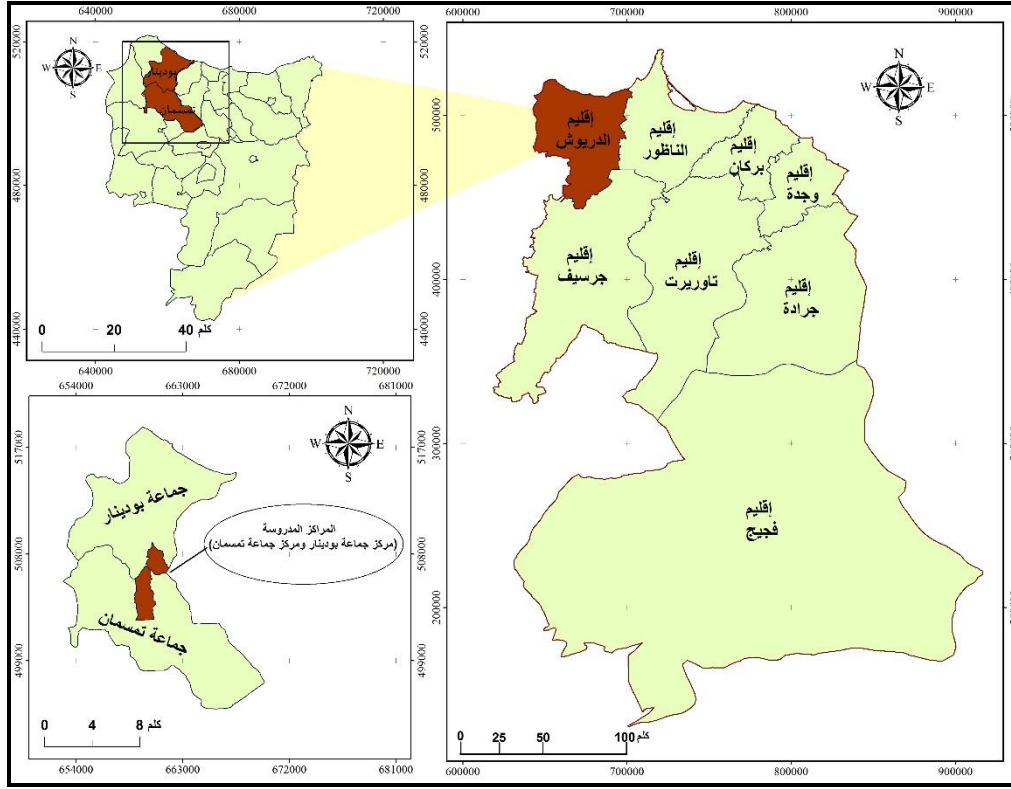
لقد عرف المجال المدروس والريف الشرقي عامة تحولات مجالية خلال فترات تاريخية مختلفة لعبت دورا هاما في تشكيل المشهد العمراني الحالي، إذ لم يعرف السكن الريفي تحولات نوعية قبل إبان عهد الاستعمار سواء من حيث عمارته أو بنياته وتجهيزاته، رغم الاستقرار المبكر للإنسان. ولا شك في أن هذا النوع من السكن البسيط يعكس المستوى الاقتصادي والاجتماعي، لسكان الريف الشرقي خلال هذه الفترة. حيث كان تنظيم المجال الريفي ضعيفا بسبب عدم الاستقرار السياسي وبساطة تقنيات الاستغلال، لكن منذ سنوات الستين من القرن العشرين سيعرف السكن الريفي تطورات هامة لا تقل عن تلك التي عرفتها المجالات الحضرية.

و قد كان وراء هذه التحول المهم الذي هم المشهد العمراني مجموعة من العوامل والأسباب، لعل أبرزها الهجرة الدولية و ما أفرزته من عائدات مالية ساهمت بشكل كبير في التوسع العمراني الذي عرفته الجماعة، و ما صاحب ذلك من تحولات اجتماعية تمثلت في ارتفاع دخل الأسر و تحسن المستوى المعيشي للسكان. وتحولات اقتصادية تتجلى في ظهور أنشطة جديدة غير النشاط الفلاحي الذي كان سائدا من ذي قبل، في مقابل هذه التحولات التي قد تبدو إيجابية من جهة فإن لها وقع سلبي على المجال من جهة أخرى و ذلك بسبب الفوضى الذي يتميز به التوسع العمراني و من ثم غياب عنصر الجمالية للعمران و غياب التجهيزات الأساسية.

2-1- تقديم المجال

تقع المراكز العمرانية المدروسة بأقصى شمال المملكة ضمن جهة الشرق وبالتحديد ضمن إقليم الدريوش المحدث وفق التقسيم الإداري لسنة 2015، الذي يحد من الشرق بإقليم الناظور والغرب بإقليم الحسيمة و من الجنوب الشرقي بإقليم جرسيف و من الجنوب الغربي بإقليم تازة في حين ينفتح على الواجهة البحرية المتوسطة من الشمال، ضمن هذا الإقليم تقع كل من جماعة بودينار وجماعة تمسمان (أنظر الخريطة رقم 1)، إذ يشكل مركزي الجماعتين النواة الحضرية المستقبلية بالمنطقة بعد ترقيتها إلى مستوى جماعة ترابية حضرية، وهي مراكز قريبة من بعضها البعض ولا يفصلها إلا سوق خميس تمسمان الذي يشكل حلقة وصل بين المركزين، وهذا يقع مركزي بودينار وكرونة بين خطي طول '36°3 و '39°3 غرب خط غرينتش و بين خطي عرض '6°35 و '10°35 شمال خط الاستواء.

الخريطة رقم (1) التحديد الإداري للمجال المدروس



المصدر: التقسيم الإداري للمملكة المغربية لسنة 2015، بتصرف

2-2-المسار التاريخي لتطور التكتلات العمرانية بحوض بودينار

عرف حوض بودينار⁴ استقرارا بشريا قديما ترجع بداياته الى ما قبل دخول الإسلام إلى المنطقة حسب ما تشير إليه وتؤكدته الكتب التاريخية، وكذلك الحفريات العلمية إذ تمكن مؤخرا فريق من علماء الآثار من اكتشاف موقع أثري فنيقي بمنطقة سيدي ادريس على مقربة من دوار آيت تيار، يرجع إلى الفترة المتراوحة ما بين القرنين الخامس والسابع قبل الميلاد. لكنه وبالرغم من الاستقرار القديم بالمنطقة إلا أنه يظل تنظيم المجال يقتصر على الزراعة والرعي والصيد، فالساكنة آنذاك كانت تختار الجبال لبناء مساكنها ومرافق الحيوانات لاعتبارات أمنية، فحين تترك المجالات السهلية للاستغلال الزراعي، أي أن المسكن في هذه الفترة كان يستجيب لحاجيات الساكنة فيما يتعلق بالسكن أولا؛ ثم بالأنشطة المزاولة ثانيا والتي لها

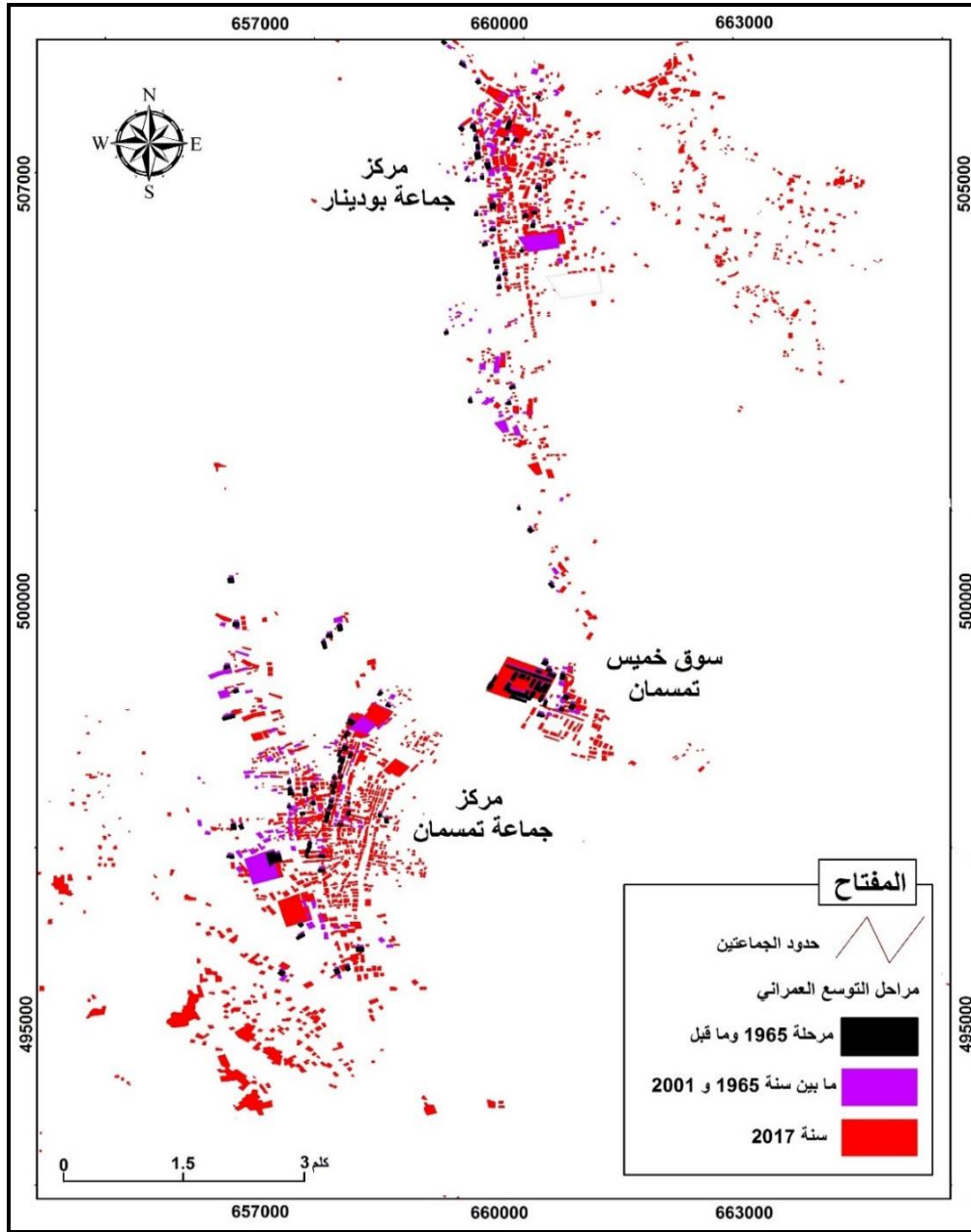
⁴ حوض بودينار: يعبر عن حدود طبيعية يضم مجموعة من الجماعات الترابية من بينها تسمان وبودينار ومن ضمنه المركزين المدروسين.

علاقة بتربية الماشية والفلاحة بشكل عام. وقد ظل الأمر على حاله الى دخول المستعمر الأجنبي الذي عمل على خلخلة البنيات العمرانية والاجتماعية التقليدية بالمنطقة.

عرف حوض بودينار منذ دخول الاستعمار عدة تحولات أدت الى بداية ظهور مراكز عمرانية ما فتئت تتطور شيئاً فشيئاً لتساير الدينامية التي عرفها كل الريف الشرقي. وإذا كانت عوامل تطور هذه المراكز متعددة فإن ثقل الهجرة الدولية يبقى أكثر تأثيراً في تنشيط الدينامية العمرانية في مجال كان في عهد قريب يطغى عليه الطابع القروي. وقد مرت عملية هذا التوسع العمراني بمركزي بودينار وكرونة من عدة مراحل منذ تأسيس النواة الأولى مع دخول المعمر الإسباني.

وقد قمنا بتقسيم هذه المراحل إلى ثلاث فترات مختلفة من حيث ديناميتها العمرانية مرحلة ما قبل 1965، حيث كانت هذه المراكز عبارة عن نواة صغيرة تضم الإدارات الاستعمارية الإسبانية لمراقبة المجالات الريفية المحيطة بها (أنوال وادهار ابران...)، وفترة أخرى ما بين 1965 و 2001 والتي عرفت دينامية كبيرة بفعل بداية استثمار عائدات الهجرة الدولية وهجرة أرباب الأسر من الدواوير المجاورة للاستقرار بالمراكز، ومرحلة أخيرة ما بين 2001 و 2017 حيث تميزت بتسارع وتيرة النمو العمراني بمركزي كرونة وبودينار وارتباط الساكنة ببعض الأنشطة الاقتصادية الأخرى المرتبطة دائماً بقطاع البناء، والخريطة الموالية تبين توزيع المجال المبني بمركزي بودينار وكرونة خلال كل فترة على حدة.

الخريطة رقم(2) مراحل التوسع العمراني بمركزي بودينار وكرونة



المصدر: تحليل ومعالجة صور الأقمار الصناعية والصور الجوية

2-2-1- المرحلة الأولى: من النواة الاستعمارية إلى 1965

لم يعرف مجال دراستنا دينامية حضرية قديمة بل ظل على طابعه القروي إلى حين دخول الاستعمار، ولذلك يرجع تاريخ إنشاء مركزي كرونة وبودينار إلى عهد الحماية الإسبانية الذي أنشأ هذين المركزين بحوض بودينار، لأداء أدوار مختلفة في "الأول عسكري والثاني إداري" (بوظيلب الحسين، 2010)، ويتوسطهما سوق خميس تسمان والذي يقع على الطريق الجهوية رقم 610 الرابط بين مدينة امزورن ومدينة بن الطيب عبر جماعة تسمان.

قبل دخول المعمر الإسباني إلى الريف كان موضع هذه المراكز خالية من أي استقرار بشري، حيث كانت أراضيها تستغل في النشاط الفلاحي خصوصا في الزراعات البورية، بسبب انبساط أراضيها وجودة تربته بالمقارنة مع المناطق المجاورة له، غير أن

السلطات الاسبانية في سنوات 1910 عملت على تشييد ثكنة عسكرية بهذا الموضع، وربطته بباقي الثكنات بمحور طرقي بغية التحكم في مراقبة تحركات الساكنة (بلال بوجي وعزي هرو 2018).

غير أنه وقبل الاستقلال لم تعرف هذه المراكز تطورا كبيرا حيث ظلت مقتصرة على بعض البنايات المنتشرة التي لا توجي بوجود تكتل عمراني ذي طابع حضري، كما ظلت هذه المراكز خلال هذه المرحلة ما بعد الاستقلال محتفظة على البنايات الموروثة عن الاستعمار وظل التوسع العمراني بها بطيئا، وذلك لأن الهجرة كانت في بدايتها ولم تكن العائدات المالية تسمح بعد في الاستثمار في العقار والبناء، وكانت في أغلب الأحيان موجهة الى الدعم المادي للأسر لتغطية العجز الناتج عن ضعف الدخل من الأنشطة المحلية. كما أن أغلب الأسر خلال هذه المرحلة التاريخية كانت تقطن بدواوير ومرتفعات حوض بودينار، ولم تنتقل إلى السكن بالمركزين إلا بعد دخول المعمر الأجنبي.

وإذا كان الغرض من إنشاء مركز بودينار هو توفير بعض الخدمات الإدارية المتمثلة أساسا في مركز القيادة والمحكمة ومركز لجمع الضرائب...، فإن مركز كرونه كان الغرض منه هو خلق قاعدة عسكرية لضبط أمن المنطقة، كما عمل المعمر أيضا على خلق سوق أسبوعي بين كلا المركزين وهو سوق خميس تمسمان (الصورة 1) والذي لعب دورا مهما في هيكلة المجال بالمنطقة، وقد عمل الموقع الجغرافي للسوق على إعطائه الأهمية الكبرى على المستوى المحلي، الإقليمي والجهوي؛ فيستقطب ساكنة قبيلة تمسمان وبني اوليشك وبني اسعيد واتروكوت وساكنة الأقاليم المجاورة. تعود نشأة هذا السوق حسب الكتب التاريخية (محمد حسن الوزان) إلى منتصف القرن السادس عشر، وكان موقعه الأول على الضفة اليمنى من واد الخميس قرب الولي سيدي أحمد الفيلاي، ليتحول مع بداية القرن العشرين إلى قمة الهضبة.

الصورة رقم (1) تبين الصور مشاهد مختلفة من سوق خميس تمسمان تعود لسنة 1955



المصدر: أرشيف الجماعة الترابية لتمسمان

لم يعرف السكن بكلا المركزين تحولات قبل وخلال العهد الاستعماري، حيث كانت ميزته الأساسية التشتت واختيار الأماكن المرتفعة، لكن هذا لا ينفي وجود بعض التجمعات السكنية هنا وهناك يقطن بها أفراد العائلة الواحدة فقط، وتميز السكن خلال هذه الفترة بشكل هندسي تقليدي وهو السكن الريفي القديم الذي كان سائدا بغرف متلاصقة تفتح من الداخل على ما يسمى ب"الحوش"، وكان يستعمل السكان في البناء آنذاك المواد التقليدية من تراب وتين وحجارة وأعمدة الخشب من بعض الأشجار المتوفرة بالمنطقة، كما أن السكن يتوفر على غرف قليلة تتراوح ما بين غرفتين وأربع غرف للأسرة الواحدة ذات الأحجام الصغيرة و في الغالب كان يضم المسكن الواحد أكثر من أسرة واحدة، كما تميز أيضا السكن أثناء هذه المرحلة بغياب مجموعة من المرافق الأساسية كالمطبخ و المراض .

خلال هذه المرحلة كلا المركزين قد كانا في بداية نموها لأن دخل الأمر حينها كان محدودا، و ذلك نظرا لسيادة النشاط الاقتصادي القائم على الفلاحة المعيشية، خاصة الزراعة البورية وبعض الخضار فيما هو متاح من المجال المسقي هذا من جهة، كما أن الاحتلال الإسباني(1912-1956) لم يكن له أثر بليغ في الريف الشرقي خاصة من الناحية الاقتصادية لأن الوضعية الاقتصادية بإسبانيا لم تكن تسمح بهذا التحول، حيث كانت تعيش في أواخر القرن التاسع عشر أزمة سياسية واقتصادية من جهة أخرى، لذلك عمل المعمر على إنشاء مجموعة من التجهيزات كشق الطرق وإصلاح السواقي ومجموعة من المنشآت الأخرى خدمة لأغراضه الاقتصادية. وبالتالي عدم وجود مداخيل جديدة بالمنطقة تمكن السكان من إشباع حاجاتهم الأساسية والرقى إلى تعميم أكثر حداثة، فتواضع إمكانات الساكنة الاقتصادية والتقنية انعكس على طبيعة المسكن من حيث تجهيزاته ومورفولوجية وكذا مرافقه، هذه الوضعية تعكس المستوى الاقتصادي والاجتماعي للساكنة إبان هذه الفترة، هذا ما جعلنا نتساءل عن التحولات التي مست المجال المدروس خاصة تلك التي عرفها السكن في مرحلة ما بعد 1965 وانقضاء العهد الاستعماري؟

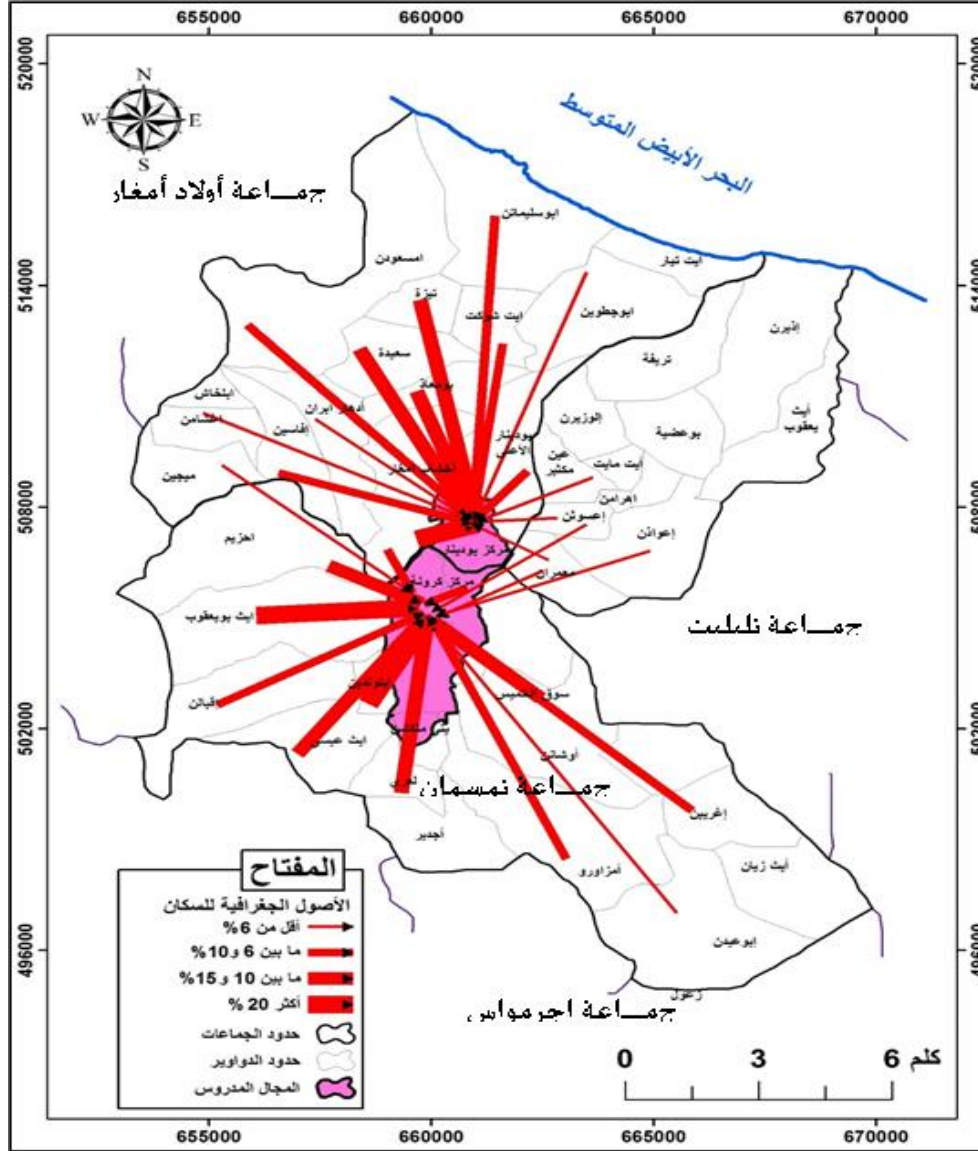
2-2-2- المرحلة الثانية 1965-2001: توسع عمراني سريع اقترن بتحسّن المستوى المعيشي

عرفت منطقة الدراسة منذ أواسط الستينيات من القرن الماضي تناميا للهجرة نحو الدول الأوروبية وانتقلت الهجرة من طابعها الفردي إلى الهجرة الأسرية. فحسب إحصاء 1922 الذي قامت به السلطات الاستعمارية نجد أن 76% من مهاجري الضفة اليسرى لواد ملوية هم من بني سعيد وتمسمان، حيث بلغ عدد الذكور المهاجرين من قبيلة تمسمان 1567 (الحسين بوظيلب، 2010). وانطلقت معها دينامية التعمير التي ارتبطت بعائدات هذه الهجرة الدولية، فرغم تدهور البنيات التحتية وما أدت إليه من اتجاه بعض المهاجرين إلى البناء في المدن القريبة (الناظور، الحسيمة...) فإن ذلك لم يمنع أكثر المهاجرين من الاستثمار في عقار منطقتهم، خاصة بعد أن استفادت هذه المراكز من بعض السياسات الرامية إلى تحسين البنيات والتجهيزات على المستوى المحلي (الماء الشروب، كهربية العالم القروي، تحسين بعض الطرق التي تخترق المجال...)، مما أعطى لحركة التعمير دينامية قوية ليس فقط نتيجة استثمار المهاجرين الدوليين وإنما أيضا نتيجة استقطاب سكان الدواوير المجاورة التي تسعى إلى تحسين ظروف معيشتها (أنظر الخريطة رقم 3)، إذ يغلب على ساكنة مركز بودينار القادمين من دواوير ابوجطون وأخشاب أمغار وايت شوكت وافاسيين وابوسليماتن، بينما أغلب ساكنة مركز كروننة قادمة من دواوير بني بوعقوب وإبلوندين وأيث عيسى وأوشانن (نتائج التشخيص الميداني).

إن الهجرة في البداية لم تساهم بإحداث تحولات سوسيو-مجالية كبيرة بالمجال المدروس (أنظر الخريطتين 4 و 5) لكنها ساهمت في التقليل من حدة الأزمة التي كانت تعيشها المنطقة حيث كان كل مهاجر يحول إلى الريف ما يقدر ب 0,50 فرنك يوميا ما كان يعادل 14 كلف من الشعور خلال هذه الفترة (بوضيلب الحسين، 2010). إذ تبين الخريطتين أن المراكز المدروسة كانت شبه فارغة من السكان، الأمر الذي أكدته أيضا نتائج الاستمارة الميدانية بحيث صرح 2% فقط من المستجوبين بمركز

بودينار أنهم يملكون سكونا تم بناؤه قبل 30 سنة و1.5% بمركز كرونة، في حين صرح أغلبهم (98%) أنهم يملكون سكونا جديدا تم بناؤه أقل من 30 سنة (نتائج التشخيص الميداني).

الخريطة رقم (3) الأصول الجغرافية لسكان بودينار وكرونة

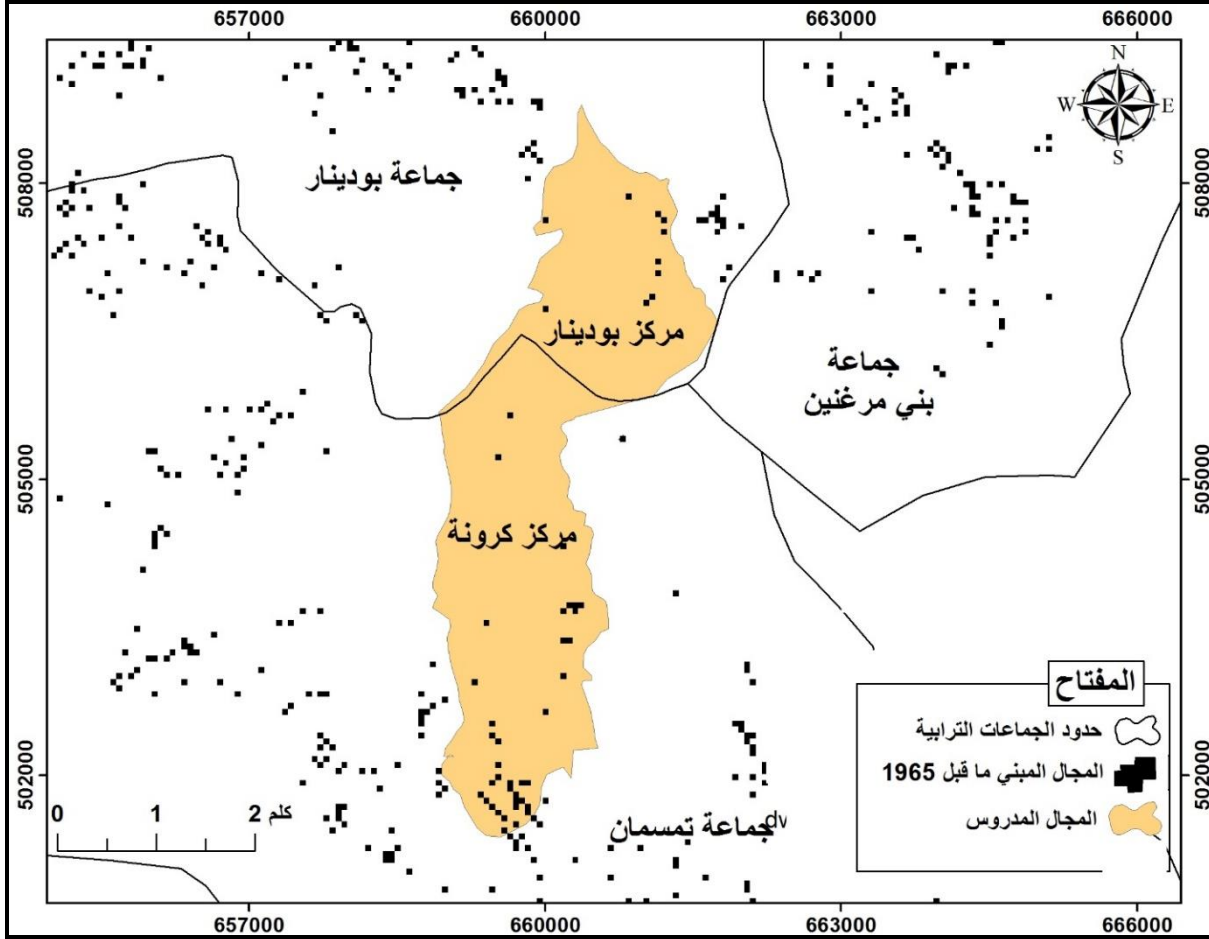


الجدول رقم (1) توزيع السكن القديم والجديد بالمجال المدروس سنة 2017

السكن الجديد		السكن القديم	
كرونة	بودينار	كرونة	بودينار
%98.5	%98	%1.5	%2

المصدر: دراسة استقصائية ميدانية

الخريطة رقم (4) توزيع المجال المبني بـودينار وكرونة ما قبل 1965



المصدر: الخرائط الطبوغرافية وصور جوية لسنة 1958

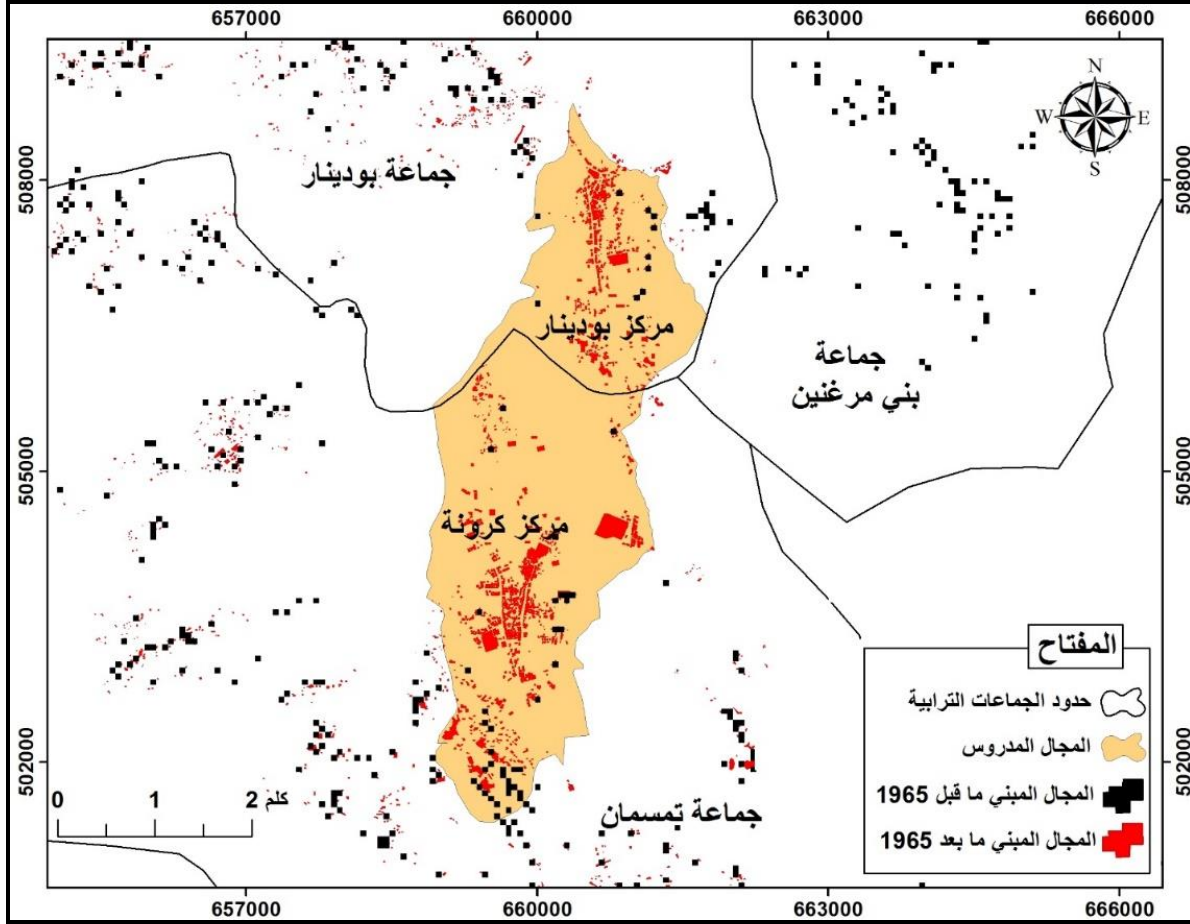
بعدها بدأت الهجرة الدولية تزدهر خلال هذه المرحلة نحو مختلف البلدان الأوروبية استهوى قطاع البناء المهاجرين بشكل كبير فبدأت معالم أريفة هذا المجال تتراجع شيئاً فشيئاً، وبدأ المهاجرين يستثمرون في قطاع البناء، حيث لم يعد عندهم الهم الشاغل هو توفير المأكل والمشرب فقط بل أصبح يتعداه، وذلك بسبب وجود فائض مالي لدى هذه الأسر، ويتجلى هذا الهم في التفكير في بناء مسكن جديد وبمورفولوجية وشروط حياة جديدة تناسب والأوضاع الاقتصادية للأسر التي عرفت تطورات مهمة، وتختلف عن تلك التي كانت سائدة من قبل (بلال بوجي، 2011).

2-2-3- المرحلة الثالثة 2001-2017: دينامية عمرانية سريعة وانتقال من الدواوير نحو المراكز

عرفت هذه المراكز بعد سنة 2000 دينامية عمرانية جديدة لم تعدها من قبل وازدادت وتيرة النمو العمراني وذلك نتيجة التحولات السوسيو-اقتصادية التي عرفتها المنطقة، مثل ارتفاع قيمة تحويلات المهاجرين إذ بلغت قيمة التحويلات المالية

بإقليم الناظور⁵ سنة 1989 على حسب بنك المغرب 2 201 696 درهم ليرتفع المبلغ نهاية 1992 إلى 3 180 750 درهم (علال الزرولي 2005).

الخريطة رقم (5) توزيع المجال المبني بمرکزي بودينار وکرونة قبل 1965 وبعدها



المصدر: الخرائط الطبوغرافية وصور جوية لسنة 1958

يتضح من خلال هذه التحويلات المهمة مدى ارتباط المهاجرين بموطنهم الأصل وقوة ومثانة الأواصر العائلية، كل هذه التحويلات المالية لم يكن لها وقع إيجابي على الاستثمار في القطاعات المنتجة بمرکزي كرونة وبودينار، لذلك فالمهاجرون يفضلون استثمار أموالهم في قطاع البناء لعدة عوامل لعل أبرزها يتجلى في كون الدولة لم توفر أرضية مناسبة للاستثمار في قطاعات أخرى غير قطاع البناء، هذا إضافة إلى أن هذه الأسر كانت إلى حد قريب تقطن في مساكن تقليدية مبنية بالحجر و الطوب، فمن البديهي أن تقوم بتجديد مسكنها أو بناء مسكن آخر جديد بعد ارتفاع دخلها و تحسن مستواها المعيشي، عامل آخر يتمثل في رغبة المهاجرين بإظهار تحسن مستواهم الاجتماعي والاقتصادي من خلال أشكال هندسية ومرافق جديدة ذات طابع حضري لم تكن قائمة من ذي قبل تعكس مستوى الرفاه الذي وصل إليه المهاجر.

بفعل تضافر عدة عوامل، أصبحت هذه المرحلة فترة للتوسع العمراني بامتياز بالمجال المدروس، حيث عملت عائدات الهجرة الدولية على تغذية قطاع التعمير، فبعدها كان السكان يفضلون المواقع الدفاعية والعالية أصبح الآن يختارون المواقع

⁵ لقد تم ذكر إقليم الناظور على اعتبار أن المجال المدروس كان ينتمي إلى هذا الإقليم قبل سنة 2009

المنبسطة والسهلة الولوجية خاصة على جنبات الطريق كما هو الشأن بالنسبة لمركزي بودينار وكرونة. ويمكن أن نفسر هذه الوضعية بكون المرحلة الأخيرة التي اختار فيها المهاجرون البناء في المراكز والأماكن السهلة أولاً بالعنصر الطبيعي المتمثل في

صعوبة الاستيطان بالجبال والسفوح الشديدة الانحدار، إضافة إلى أن حوض بودينار يقطعه واد مهم هو واد أمقران يستحيل معه التنقل بين الدواوير خاصة خلال فصل الشتاء أثناء الامتطاحات، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار غياب التجهيزات والبنى التحتية الأساسية كالطرق والمسالك وكذا شبكة الكهرباء والماء الصالح للشرب خلال هذه الفترة بمعظم الدواوير المجاورة، مما جعل الساكنة تختار الاستقرار في المراكز أثناء هذه الفترة لأن هذه المراكز تتصل بالطريق الجهوية رقم 610 والطريق الإقليمية رقم 6201 تمكن الساكنة من الاتصال بمدينة بن الطيب وإمزورن والدريوش، كما أنها استفادت من الربط بشبكة الكهرباء في ثمانينيات القرن الماضي بالإضافة إلى توفر بعض الخدمات الأخرى.

يتبين من خلال ما سبق أن مركزي كرونة وبودينار قد عرفا عدة تحولات سوسيوإقليمية مهمة، خاصة بعد ستينيات القرن الماضي، تجلت أبرز مظاهرها بالأساس في قطاع السكن من خلال تغير في وظيفته ومورفولوجيته وشكله الهندسي ومرافقه وكذا مواد البناء المستعملة، هذا القطاع الذي لم يعرف أية تحولات قبل هذه الفترة حيث تميز بوظائفه التقليدية وبالانتشار في السفوح الجبلية وبأشكال هندسية ومواد بناء محلية، ومرجع هذا هو أن خلال هذه الفترة لم تكن المنطقة قد عرفت تحسناً في مداخيلها المالية بعد، وأن الساكنة كانت تعتمد في نشاطها الاقتصادي على الفلاحة والصيد البحري بنظام ووسائل إنتاج تقليديين، كما أن المستعمر الإسباني عمل على استنزاف ثروات المنطقة خدمة لمصالحه الاقتصادية.

لكن بعد استقلال المغرب وجد شباب المنطقة أنفسهم أمام وضعية متأزمة ووسط طبيعي ذو موارد محدودة ويشكو من ارتفاع في الكثافة السكانية لا يقدر على تلبية حاجيات هذه الفئة، فكانت وجهتهم الضفة الشمالية بحثاً عن ظروف عيش أفضل، فتحققت فعلاً رغبة المهاجرين بتحسين مستواهم المعيشي، هذه الهجرة التي كان لها الأثر الكبير على التحولات التي شهدتها هذه المراكز والتي اقترنت بارتفاع دخل الأسر وتحسن المستوى الاقتصادي والاجتماعي، خاصة بعد سنة 2000 حيث ظهرت أنشطة اقتصادية أخرى غير النشاط الفلاحي بالمنطقة لم تكن متواجدة من ذي قبل وهي أنشطة ترتبط في غالبيتها بقطاع البناء، لتستثمر في هذا القطاع أيضاً الساكنة المحلية بالإضافة إلى الجالية وبالتالي تحولات عمرانية واكبت تطور هذه المستويات.

لكن في مقابل هذه الدينامية العمرانية التي عرفها مجال دراستنا نجد شبه غياب لسياسة التعمير، التي من شأنها ضبط هذا التوسع فوثائق التعمير بمجال دراستنا منتهية الصلاحية ولا تشمل إلا مجال محدود جداً منها، حيث نجد مركز بودينار قد استفاد من تصميم للنمو سنة 1975 ومركز كرونة سنة 1981 وبالتالي فإن هذه التصاميم لم تعد تواكب الدينامية العمرانية الأنوية التي يعرفها مجال دراستنا.

2-3- مظاهر التمدن وخصائص السكن بمركزي كرونة وبودينار

لقد كان المشهد العمراني بمركزي كرونة وبودينار قبل ظهور الهجرة متميزاً بانتشار السكن الريفي المتسم بخصائص ووظائف تتماشى والمستوى الاقتصادي والاجتماعي السائد آنذاك، غير أن إرهابات التحول ومعالم العصرية، التي تجلت في تغير نوع وشكل المسكن ومرافقه وتجهيزاته. بدأت في الظهور مباشرة بعد موجة الهجرة إلى أوروبا وذلك لدخول نمط تفكير جديد وثقافة جديدة تسير متطلبات الحياة العصرية.

إذن فالتمير لم يقتصر داخل المجال المدروس على التجمع في تكتلات عمرانية أصبحت تشكل أنوية تسعى إلى الارتقاء إلى مراكز حضرية فقط، وإنما صاحب ذلك تحولات للمسكن من حجم البناء إلى نوع المواد المستعملة في البناء ثم التجهيزات

المتوفرة داخل هذه المساكن، هذا التحول الذي كان فيه للمهاجرين دورا كبيرا جدا خاصة وأن قطاع البناء شكل القطاع الأول لاستثمار عائدات الهجرة. وقد تطور هذا المسكن إلى درجة أصبح فيها يضاهاى أو يتفوق في مستوى التجهيزات والهندسة مثيله في المدن. لا شك أن مثل هذا التطور سيؤثر على وظائف هذا المسكن، كما أن نمو هذه المراكز تميز بنمطين من التوسع حيث عرفت بعض الأجزاء توسعا مقننا وأجزاء أخرى تميزت بالعشوائية والفوضوية وهو ما ستراه من خلال هذا العنصر.

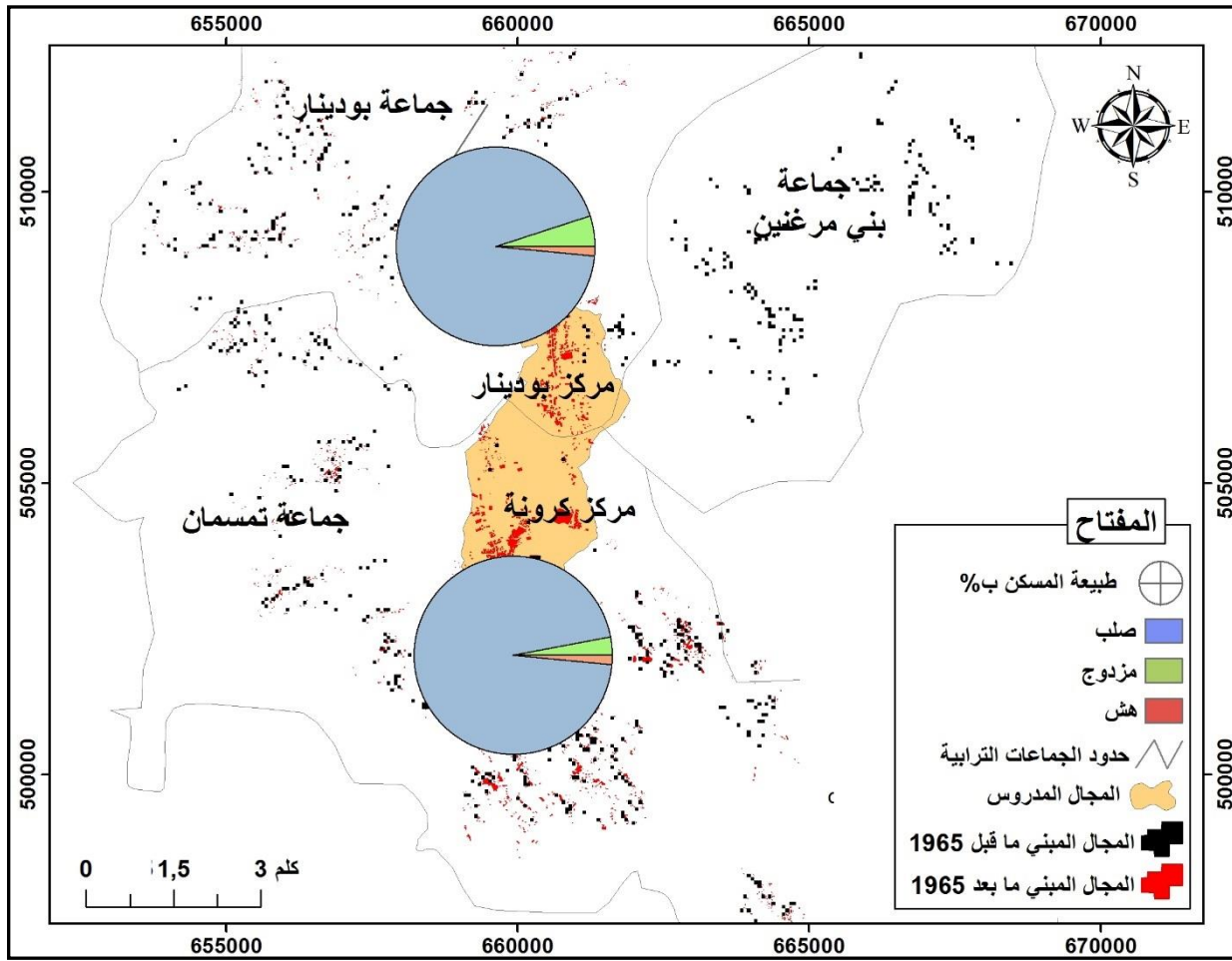
2-3-1- التطور الوظيفي للمسكن بمركزي بودينار وكرونة وتلاشي الأدوار القديمة

لم يكن المسكن بالريف الشرقي ومنطقة حوض بودينار قبل موجة الهجرة نحو أوروبا إلا مسكنا بدائيا مصنوعا من المواد المحلية مثل الحجارة المتماصة بالطين والتين، ولا تزال شواهد ذلك النوع من المساكن متجلية بمجال دراستنا، وذلك نظر لضعف الإمكانيات الاقتصادية لدى السكان آنذاك. غير أن تحسن الإمكانيات المادية وخاصة منذ بداية القرن الحالي أدت إلى استثمار الساكنة في قطاع البناء في أنوية أنشأها المعمر قبل الاستقلال. فارتباط الساكنة بالأرض دفعهم إلى العودة إلى منطقتهم ولم تستهوي فكرة الاستقرار في المدن القريبة إلا قلة من المهاجرين على الأقل بالأمس القريب. إلى جانب فكرة التباهي بالصعود في السلم الاجتماعي في المجتمع المحلي هذه الفكرة التي أدت إلى منافسة في تحسين البناء إلى درجة بداية ظهور فالات في هذا النوع من المراكز الصغرى، غير أن حتى هذه المنافسة لم تقتصر على المهاجرين فقط بل مست أيضا الساكنة المحلية التي لم تهجر إلى الخارج وذلك عن طريق تجديد مسكنها أو إضافة غرف من البناء الصلب إلى جانب المسكن القديم.

2-3-1- ارتفاع نسبة السكن الصلب وسيادة الملكية الخاصة

في إطار التحولات التي يشهدها السكن بالمجال المدروس والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على الاستمرار في السير نحو العصرية والبحث عن ما هو جديد، نجد في إنتشار السكن الصلب وتراجع السكن الهش، أحد مظاهر هذه التحولات التي مست السكن، وبالتالي فأولى مؤشرات التغيير السكاني بحوض بودينار وهوامشه هو انتقال السكن من سكن هش إلى سكن صلب يعتمد كليا على مواد البناء الجديدة (اسمنت، حديد...) ليشكل بذلك قطيعة مع المسكن الهش المكون من الطين الممزوج بالتين والخشب والحجارة، وبذلك أصبحت المنازل الجديدة نمطا معماريا حديثا يتسم بخصائصه الحضرية، إذ صرح حوالي 98% من المستجوبين بكلا المركزين أنهم قد قاموا ببناء مسكن جديد أو تجديده خاصة في العشرين سنة الأخيرة (حسب نتائج الاستمارة الميدانية)، والخريطة الموالية توضح ارتفاع نسبة السكن الصلب بكلا المركزين.

الخريطة رقم (6) توزيع السكن حسب طبيعته بمركزي بودينار وكرونة سنة 2017



المصدر: صور الأقمار الصناعية+ نتائج الاستمارة الميدانية يوليوز 2017، عينة 10%

إن ما يجب الإشارة إليه هو أن التحولات التي همت طبيعة البناء مرتبطة بالأساس بالهجرة الخارجية واستثمارات المهاجرين في قطاع البناء ورغبتهم في إظهار مستواهم الاقتصادي والاجتماعي بانفتاحهم على المحيط الخارجي. وبعد أن كان المهاجرون يتجهون نحو البناء في دواويرهم الأصلية بسبب تواجد العقار الخاص. عرفت المنطقة توجها جديدا وهو الاتجاه نحو شراء الأراضي بالمركز من أجل البناء الأمر الذي سيؤدي فيما بعد إلى ارتفاع أسعار الأراضي إلى مستويات قياسية مقارنة حتى ببعض المدن المغربية. ومع هذا التوجه الجديد بدأ المركز يتوسع بصورة مختلفة نتيجة البناء بدون رخص وخاصة بالنسبة للذين يتوفرون على أراضي خاصة في المركز.

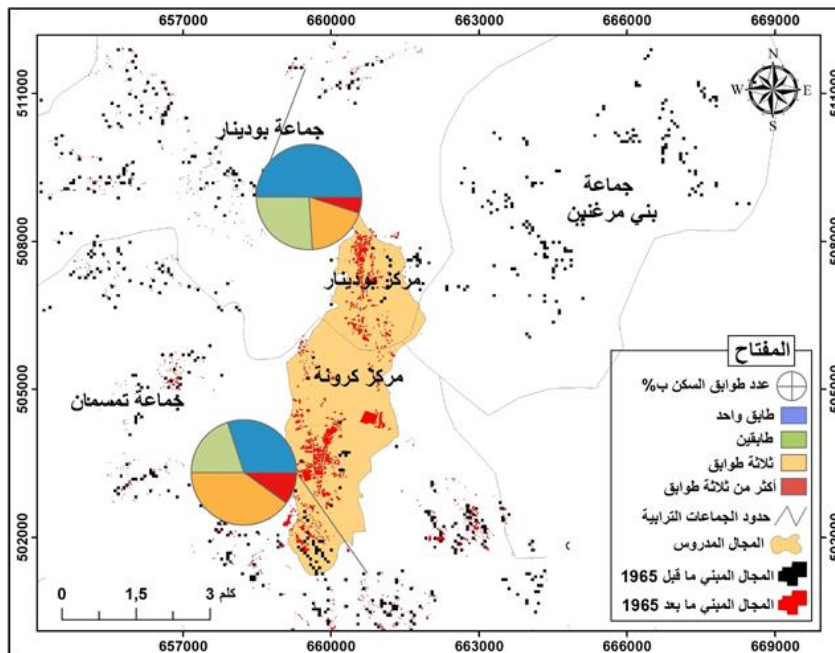
هذا التجديد الحاصل أدى إلى تراجع نسبة السكن الهش الذي أصبح يمثل 8% فقط في حين يمثل السكن الصلب 69% والسكن المزدوج 23% (حسب نتائج الاستمارة الميدانية)، كما أن جل هذه المساكن يملكها المهاجرين وبالتالي فيما أنها تظل فارغة بحيث لا يقضي فيها المهاجر إلا فترة العطلة الصيفية أو يستفيد منها عائلاتهم وأقاربهم، وبالتالي فإن أنواع استغلال المسكن يغلب عليه الملك الخاص في حين تغيب الأنواع الأخرى كالاستئجار مثلا الذي يقتصر على بعض الموظفين القادمين من خارج المجال المدرس إذ صرح حوالي 89% من المستجوبين في كلا المركزين أنهم ملاك لمسكنهم و9% مستفيدون فقط و2% مستأجرون.

2-1-3-2- من السكن الأفقي إلى السكن العمودي

لم يقتصر التحول الذي مس السكن داخل مركزي كرونة وبودينار على نوعية البناء وطبيعته فقط بل تعدى ذلك ليشمل الشكل والمورفولوجية، حيث نسجل تراجع في مساحة المسكن الذي كان يتميز من ذي قبل بكبر مساحته واتساعه بشكل أفقي، إلا أنه حالياً قد قلت هذه المساحة وأصبح السكن يضاهي نظيره في المجال الحضري. لقد أصبح نمط البناء الجديد يختلف مع بنية السكن القديم فإذا كان هذا الأخير يتخذ شكلاً مربعاً وأفقياً بحيث ينفتح على مساحة داخلية كانت تقام بها أنشطة متعددة فقد أصبحت المنازل الجديدة تتميز بشكل هندسي يختلف جذرياً عن المنازل التقليدية من حيث المورفولوجية الداخلية والشكل الخارجي. فالمسكن الجديد اتخذ خاصية حضرية تمثلت في اتساع مساحته وعلو طوابقه، فعملية البناء المتعالي والذي تتعدى عدد طوابقه الإثنى عشر في أغلب الحالات وهذا دليل على المنافسة من أجل إبراز الإمكانيات المادية، بل إن هذه المنافسة هي السبب الرئيس في انتقال السكن من الأفقي إلى العمودي الشبيه بالسكن الحضري.

يعتبر التوسع العمودي أحد الأشكال البارزة للتحويلات المجالية التي أصبحت تطبع السكن بمركزي بودينار وكرونة، لكن أهمية هذا النوع من التوسع لا تكمن في جوانبه النوعية أو الكمية بقدر ما تكمن في تعبيره عن تكريس نمط معين لاستغلال المجال بكل ما له من أبعاد اجتماعية واقتصادية (المصطفى الشويكي، 1996)، فإن كان السكن العمودي في المجالات الحضرية تعبير عن غلاء العقار و عدم توفر المجال للتوسع الأفقي، فإنه يجسد في الأرياف رغبة رب الأسرة في إظهار نجاحه و تحسن مستواه المعيشي وكذا تحسن مستواه المادي، خاصة المهاجرين أو حتى غير المهاجرين الذين يتلقون إعانات من طرف عائلاتهم المهاجرة، هذا بالإضافة إلى شبه غياب لوثائق التعمير التي من شأنها أن تحدد عدد الطوابق المسموح بها في أماكن دون أخرى، ولذلك فقد صرح حوالي 40% بمركز كرونة وبودينار أنهم يملكون مسكن ذو سفلي وطابق واحد و23% يملكون سفلي وطابقين و29.5% منهم يملكون سكناً ذو ثلاث طوابق و7.5% يتجاوز ثلاثة طوابق، والخريطة الموالية (رقم 7) تبين توزيع عدد الطوابق بكل مركز على حدة.

الخريطة رقم (7) توزيع أصناف السكن حسب عدد الطوابق بالمجال المدرس



المصدر: تشخيص واستقصاء ميداني

بالإضافة إلى ازدهار السكن العمودي بهذه المراكز نجد شكل آخر من أشكال التحول الذي مس السكن من حيث شكله وخصائصه و هو عدد الواجهات التي يحتوي عليها، فبعدما كان يتميز السكن الريفي القديم بواجهته الداخلية المنفتح على ما يسمى "الحوش" أو "المراح" ، أصبح حالياً السكن يتوفر على أكثر من واجهة واحدة فقد بينت نتائج الاستمارة أن 41% من أرباب الأسر المستجوبين تحتوي مساكنهم على أربع واجهات و 28% تتوفر على ثلاثة واجهات و 20% يضم واجهتين في حين يمثل السكن ذو الواجهة الواحدة 11% فقط، ويمكن أن نشرح هذه النسب المرتفعة للمساكن التي تضم أكثر من واجهة واحدة بسيادة الملكية الخاصة للأراضي وشاسعتها من جهة، وغياب وثائق التعمير من جهة أخرى التي من شأنها أن تضبط خصوصيات كل نطاق على حدة.

إذا كان التحول قد مس وبشكل كبير مورفولوجية المساكن ومواد البناء فإنه لم يستثنى وظائفها، فإذا كانت المساكن القديمة لا تزال تحافظ على شيء من الوظائف القديمة في غرف خارجية منفصلة، فإن المساكن المتواجدة بالمراكز قد شكلت قطيعة تامة مع تلك الوظائف المتمثلة بالدرجة الأولى في السكن ووظائف النشاط الاقتصادي السائد، وأصبحت مختلف المرافق التي يتوفر عليها السكن العصري بوظائف محددة. فالسكن الريفي لم يكن مجرد مكان للسكن ولكنه كان يشكل خلية وأداة للاستغلال وتجمع للإنسان والحيوان وأدوات العمل وكل المرافق الأخرى وبذلك كان يختلف كلية عن السكن الحضري، أما اليوم وتماشيا مع ظروف العيش الجديدة، فقد تم التخلي عن هذه الوظائف خصوصا بعد تراجع تربية الماشية ومكننة مراحل الإنتاج (علال الزروالي 2005).

يتمثل التطور الوظيفي للسكن في تخصيص الغرف أي في الوظيفة التي تؤديها كل غرفة على حدة، ففي الوقت الذي كانت فيه الغرفة الواحدة تقوم بجميع الوظائف أصبح الآن لكل غرفة وظيفتها الخاصة، حيث ظهرت غرفة النوم وغرفة استقبال الضيوف وغرفة تناول الوجبات الغذائية والمطبخ والحمام والمرحاض كل هذه المرافق نجدها قد عرفت تحولات مهمة أو أنها مرافق لم تكن موجودة أصلا فتم إحداثها من جديد مع تفنن في أشكال زخرفتها وصبغتها ومختلف التجهيزات التي تتوفر عنها (الجدول رقم 2).

الجدول رقم (2) توزيع نسب توفر المرافق الضرورية للسكن بجماعة بودينار وجماعة تسمان

المرافق	جماعة بودينار	جماعة تسمان
المطبخ	98.8%	99%
المرحاض	98.2%	98.3%
الحمام	66.8%	56.2%
الماء الصالح للشرب	42.1%	19%
شبكة الكهرباء	96.7%	94.6%

المصدر: نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

هكذا يتبين من خلال الجدول أعلاه وعلى حسب إحصاء 2014 أن ما يقارب 99% من المساكن تتوفر على مطبخ وأزيد من 98% تتوفر على مرحاض وأزيد من 55% تحتوي على حمام وأزيد من 94% تتوفر على الكهرباء في حين نجد نسب منخفضة للماء الصالح للشرب 42% بالنسبة لجماعة بودينار و19% بجماعة تسمان، لكن هذه الإحصائيات صحيحة على صعيد الجماعة والتي تضم بالإضافة إلى المراكز عدة دواوير أخرى ما تزال معزولة، غير أنها على مستوى المجال المدروس أي مراكز الجماعتين فهي مرتفعة.

3-1-3-2- سيادة السكن المبني من جديد وارتفاع نسبة الدور المغربية

إن أول هاجس يقلق أرباب الأسر بمركزي كرونة وبودينار سواء المهاجرين منهم أو القاطنين هو القيام ببناء مسكن جديد وبمواصفات عصرية و التخلي عن المسكن القديم ذو الوظيفة الفلاحية بالأساس، و يعزى هذا إلى تطور نمط العيش بالمنطقة و تحسن المستوى المعيشي و ذلك ما خلصت إليه نتائج الاستمارة الميدانية حيث 53% من المساكن الموجودة بمركزي كرونة وبودينار مبنية من جديد و45% من المساكن قد تم تجديدها في حين تمثل نسبة المساكن التي لم يتم تجديدها 2% فقط، ويفسر هذا بكون الأسر قد تخلت عن المسكن القديم إما لكثرة أفراد الأسرة أو الإرث فالسكن القديم كان يأوي عدد كبير من الأفراد لكن هذه الظاهرة تقلصت حالياً بعد التحول الوظيفي الذي شهده السكن مما يفسر زيادة الطلب على السكن الجديد.

إن السكن المبني من جديد يتميز بحدائنه بنائه حيث أن أغلب المساكن مبنية ما بين 10 و20 سنة (حسب نتائج الاستمارة الميدانية) توزيع نسبة السكن المبني من جديد على حسب تاريخ بنائه، حيث يتضح أن السكن المبني من جديد الذي يتراوح عمره ما بين 15 و20 سنة هو الذي يشكل أكبر نسبة. وبما أن السكن حديث النشأة فبطبيعة الحال سيكون أكثر عصرية، إن حداثة السكن داخل مجال دراستنا دليل على أن الساكنة والمهاجرون ما زالوا يفضلون الاستقرار بالجماعة وأن موجة التوسع لا زالت مستمرة.

نفس الشيء يمكن قوله على السكن القديم الذي تم تجديده والذي يمثل 45% حيث نجد أن 46% منه يتراوح عمر تجديده ما بين 5 و10 سنوات، و39% تم تجديده قبل أقل من 5 سنوات في حين يمثل السكن الذي تم تجديده ما بين 11 و15 سنة 15% فقط، إن السكن القديم هو الآخر يتميز بحدائنه تجديده .

لقد صاحب انتشار السكن المبني من جديد مظاهر أخرى تدل على عصرية السكن داخل مجال دراستنا حيث نجد تراجع في نسب بعض أنواع السكن التي كان يتميز بها مجال دراستنا إلى حد قريب، كالسكن الريفي الذي أصبح يمثل 35,9% من مجموع الأنواع الأخرى في حين نجد ارتفاع نسبة الدور المغربية لتشكّل 57,15% (حسب معطيات الإحصاء العام) هذه النسبة تساوي تقريبا المعدل الوطني الذي بلغ 56,8%، لكن هذه النسب على مستوى الجماعتين لا تعكس ما هو قائم على مستوى المراكز لأن الجماعات تضم حتى الدواوير وهناك اختلاف كبير بين خصائص السكن بين دواوير هذه الجماعات ومراكزها.

الصورتان رقم (2) و(3) توضحان بداية ظهور سكن الفيلات بالمجال المدروس (مركز كرونة)

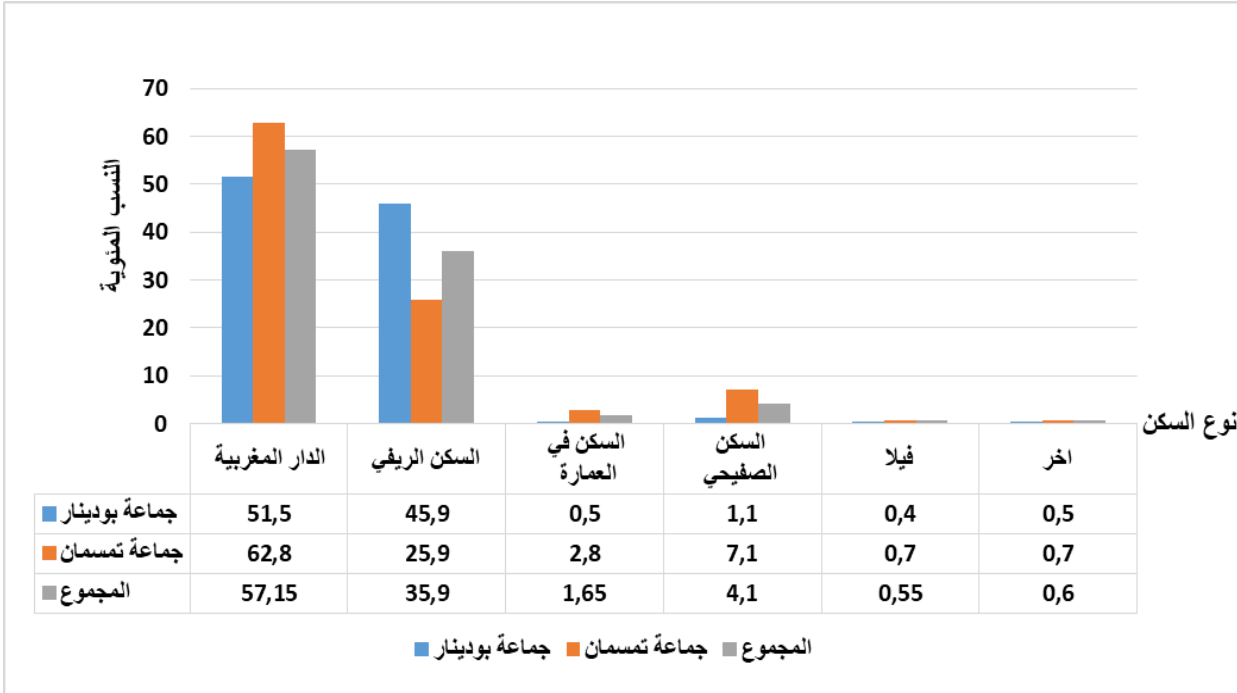


المصدر: تشخيص ومعاينة ميدانية

إن المنطقة الشرقية تعرف ضعفا فيما يتعلق بسكن الفيلات (الصورتين 2 و3) والعمارات ولا تتوفر على مختلف الأصناف السكنية المتوفرة في أهم المدن المغربية ولا نجد جميع الأصناف السكنية بمفهومها السوسيو مجالي (المصطفى اليزيدي 2004)، ويعزى تراجع السكن الريفي بمركزي بودينار وكرونة إلى رغبة المهاجرين و الساكنة المحلية في بناء مساكنهم بمستوى عصري وحديث يتماشى و متطلبات العصر والتخلص من السكن الريفي القديم، وفيما يخص الأنواع الأخرى كالسكن في العمارات الذي يشكل نسبة ضعيفة فهذا النوع من السكن لا تحببه ساكنة المنطقة و الريف بصفة عامة لأن سكان الريف يتميزون بصفة خاصة بالحذر من بعضهم البعض (علال الزروالي 2005)، لذلك يحبون الانفراد بمساكنهم، ثم سكن الفيلات الذي يكاد ينعدم في الجماعة حيث أنه بالرغم من العائدات المالية الخارجية المهمة إلا أن أرباب الأسر لا يقومون ببناء هذا النوع من السكن لأن ثقافتهم لم تستوعب مضمون الاستقرار في الفيلات كما أن المهاجرون بالخارج لا يرغبون في بناء هذا النوع لأنهم يستغلونه فقط في فترة قصيرة (المصطفى اليزيدي، 2005).

يظهر إذن أن السكن بالمجال المدروس قد عرف تحولات ملموسة حيث أصبح يميل نحو العصرية وذلك لسيادة أنواع معينة من السكن وتراجع أنواع أخرى كانت سائدة من ذي قبل (الشكل رقم 1)، ولعل هذا يعبر عن إحدى المظاهر لتراجع أريفة المجال الذي ساهمت فيه مجموعة من العوامل وعلى رأسها عائدات الهجرة الدولية (بلال بوجي 2011).

الشكل رقم (1) توزيع السكن بجماعتي بودينار وتمسمان حسب نوعيته سنة 2014



المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

وهذا يكون السكن بمركزي كرونة وبوجدينار قد عرف تحولات نوعية همت بنية السكن ووظيفته وكذا تجهيزاته ومورفولوجيته الداخلية والخارجية، الشيء الذي لم يكن سائدا من قبل عندما كان السكن يؤدي دوره كمسكن لإيواء الإنسان والحيوان وأدوات العمل الفلاحي حيث كان يتلاءم والمستوى الاقتصادي والاجتماعي السائد آنذاك، إلا أن هذه الظاهرة أصبحت تضعف وبعائدات الهجرة الخارجية وارتباط المهاجرين بموطنهم الأصل من جهة وتوفر بعض الظروف المساعدة من جهة أخرى.

4-2- أشكال التعمير بمركزي كرونة وبوجدينار

تعتبر التحولات التي عرفها السكن من أبرز التحولات المجالية التي شهدتها المنطقة تتجلى مظاهرها في تغير مجموعة من خصائصه التي كانت سائدة من ذي قبل والتي لم تعد قائمة حاليا، مما ساهم بشكل كبير في تغير المشهد العمراني الريفي الذي كان يطبع المنطقة إلى مشهد عمراني شبيه بما هو حضري ثم تحول آخر بارز يتجلى في تغير وظيفة المسكن التي كانت ترتبط بالنشاط الفلاحي إلى وظيفة تماشي والمستويات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة.

لكن بالموازاة مع التغيرات التي يشهدها السكن بالمجال المدروس نجد أن هناك شبه غياب لسياسة عمرانية حقيقية تهدف إلى التأهيل العمراني بهذه المراكز، من خلال إعداد التصاميم الهندسية وتصاميم الهيكلة و تقديم المساعدة الهندسية المجالية و التتبع التقني لعمليات البناء الذاتي للسكن وذلك في إطار اتفاقيات للشراكة بين الوكالات الحضرية و السلطات المحلية (عبد العزيز اشرفي، 2009)، من أجل تطوير أنماط التعمير باعتبار تطورها يتوقف على وضعية وثائق التعمير، حيث ينتشر السكن المقتن مع توسيع مجال التغطية بهذه الوثائق في حين ينتشر السكن غير المقتن مع غيابها (بلال بوجي، 2011)، وهذا فإن مجال دراستنا يعاني من نقص حاد في توفر وثائق التعمير وبالتالي إفرار وضعية عمرانية تتميز بالعشوائية والبناء الفوضوي، تبعا لهذا نتساءل عن نوع التوسع العمراني الذي عرفه مجال دراستنا.

1-4-2- توسع مرخص وتغطية تصميم التنمية لمجال محدود بمركزي كرونة وبودينار

1-1-4-2- مركز بودينار

إن نجاح التعمير أو فشله مرتبط بالسياسة العامة للبلاد وباختيارها السياسي وتوجهها الاقتصادي والاجتماعي والتصميم انعكاس لهذه العناصر، ويمكن الإشارة إلى أنه يركز على آفاق التطور ويوجه التوسع العمراني وتنظيمه على حسب عناصر معينة (المصطفى اليزيدي، 2004)، كتخصيص المناطق لأنواع معينة من السكن وكذا الأنشطة والمناطق الممنوعة من البناء... لذلك فإن مجال دراستنا قد عرف نموًا عمرانياً مهماً ومتزايداً نتج عن تضافر مجموعة من العوامل يغيب معها التخطيط العمراني اللازم لمسايرة هذا النمو وتقنيته وتأهيل النسيج العمراني بالمركزين. ونتيجة لهذا فإن المجال المدروس قد عرف نمطين من التوسع العمراني أحدهما مرخص يغطي مجال محدود جداً والأخر غير مرخص يغطي معظم المجالات الأخرى.

بالرغم من كون مركز بودينار يحتضن كل الخدمات الإدارية والتجهيزات الأساسية داخل قبيلة تمسمان وأنه قد استفاد من تصميم للتنمية منذ سنة 1975 إلا أنه لم يرق إلى مركز حضري بعد، وقد تم تقدير ساكنته على حسب إحصاء 2014 ب 2212 نسمة فبعدما كان من المقرر أن تنجز له وثيقة تصميم التهيئة سنة 2010 تضم كل من مركز بودينار و سوق الخميس و مركز جماعة تمسمان (كرونة) لكن لسبب من الأسباب توج المشروع بالفشل، فالجماعة لا زالت تعمل بتصميم النمو القديم غير المحين والذي انتهت صلاحيته سنة 1985 مما أفرز خلافاً في اشتغال المنظومة العمرانية بمركز الجماعة، لذلك نجد بالمركز أجزاء تتميز بتوسع عمراني مرخص على جنبات الطريق الرئيسية و بعض الأزقة المرتبطة بها، حيث يظهر تصفيف الشوارع واحترام بعض قواعد التعمير، إلا أن المناطق الخلفية يسود بها التوسع العشوائي الذي لم يحترم المقتضيات التي جاء بها تصميم التنمية خاصة فيما يتعلق بالطرق والممرات و بعض الأماكن التي يمنع فيها البناء أو التي تهددها أخطار طبيعية أو مخصصة لأغراض أخرى، هذا بالإضافة إلى غياب التجهيزات وبعض المؤسسات التي جاء بها التصميم.

2-1-4-2 - مركز كرونة

يعتبر مركز كرونة المركز الوحيد الذي رُقِيَ إلى مركز حضري داخل مجال حوض بودينار، تم تزويده بتصميم التنمية سنة 1981 ولم يتم تحيينه إلا سنة 2021، حيث بقي الاشتغال بالنسخة الأولى حتى ذلك الوقت. لذا نجد أنه يتميز في بعض أجزائه بوجود تصفيف للمباني و توفر بعض الشوارع الصغيرة والأزقة كما يحتضن بعض الخدمات الإدارية والاجتماعية و كذا بعض المحلات التجارية المهيكلية لكن عددها قليل باعتبار معظم الأنشطة الاقتصادية الموجودة غير مهيكلية، يتميز مركز كرونة في بعض أطرافه بمورفولوجية لا بأس بها من حيث عملية تصفيف المباني (الصورة 5) و إن كان منح رخص البناء لا يحترم في بعض الأحيان الشروط الكاملة التي ينص عليها تصميم التنمية حيث يتم البناء مثلا في مناطق غير مخصصة للسكن إلا أنه أقل ما تحرص عليه الجهات المعنية بمنح الرخص هي عملية التصفيف، لكن هذا لا يعني بأن المركز ذو مستوى رفيع من حيث التصفيف بل يتميز في بعض أجزائه بعشوائية كبيرة.

الصورتان رقم (4) و(5) التوسع العمراني المنظم حسب تصميم النمو بكل من بودينار وكرونة



المصدر: تشخيص ومعاينة ميدانية

وبهذا تكون تصاميم التنمية المنتهية الصلاحية قد غطت مجال محدود بمركزي كرونه وبودينار، وبالتالي توسع عمراني تميز بالازدواجية بين المركز والهامش، وأن التنظيم واحترام قواعد التعمير ميز المحاور الطرقية الرئيسة المركزية فقط أما جوانبها الخلفية فقد تميزت بالعشوائية والتوسع غير المرخص وذلك نظرا لعدم تحيين وثائق التعمير أو تجديدها لكي تشمل مجالا أوسع، الأمر الذي أدى إلى استفحال التعمير الذاتي، ولم تلتفت المجالس الجماعية إلى هذا الأمر إلا سنة 2018 حيث تقام حاليا الدراسات من أجل إنجاز تصاميم جديدة للتنمية.

2-4-2- التعمير الذاتي وتصاميم منتهية الصلاحية

2-4-2-1- تعمير عشوائي بهوامش مركز بودينار

بعد الانتقال من المركز إلى الهامش نلاحظ بجلاء تجليات العشوائية وسوء تنظيم المجال العمراني بمركز بودينار، وتختلف العوامل التي تقف وراء هذه الوضعية المزرية باختلاف المتدخلين كما أن لها انعكاسات سلبية جمة على مختلف القطاعات الأخرى، فالتماطل في تطبيق الأحكام الواردة في تصميم التنمية ما بين سنة 1975 و 1985 والعمل بها بعد هذه الفترة رغم انتهاء صلاحيتها أفرز خلافا في هيكلية قطاع التعمير بمركز بودينار، و يعزى هذا إلى التكاليف المادية التي يكلفها إنجاز وثائق التعمير وكذا التجهيزات و البنيات التحتية المرافقة لها هذا بالإضافة إلى ضعف احتياطي عقار الدولة، حيث ينتشر بجماعة بودينار أراضي الملك الخاص أكثر من أنواع الملكيات الأخرى كل هذا يكلف الدولة موارد مالية مهمة خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار الموارد المادية المتواضعة للجماعة القروية.

هذا بالإضافة إلى تضارب المصالح ما بين المجلس الجماعي والمنتخبين وكذا السلطات المحلية، فحاجة الساكنة إلى البناء في ظل غياب وثائق التعمير جعلت المسؤولين يتعاملون مع الأمر بنوع من المرونة، لذلك فإن عدد الرخص الممنوحة بجماعة بودينار ما بين 2008 و 2012 لا تتجاوز 20 رخصة دليل واضح على حجم الإشكالية التي يواجهها تنظيم تراب الجماعة، لقد اعتبرنا أن مركز بودينار قد عرف توسعا مقننا نظرا لأنه كان يتوفر على تصميم التنمية، لكن دون الخوض فيما إذا كان البناء يتوافق ومقتضيات هذا التصميم، هذا إضافة إلى أن الرخص لم تسلم لكل الساكنة التي قامت بتشييد مساكنها داخل مركز بودينار، فمن خلال الاستمارة الميدانية يتبين أن أغلبية الأسر تسكن بمساكن غير مرخصة حيث اعترف 43%

من أرباب الأسر المستجوبين و الذين يملكون مسكنا داخل المركز أنهم شيّدوا منازلهم بدون رخصة في حين 31% شيّدوا منازلهم بعد الحصول على الرخصة، هذا يعني أن السكن غير المرخص يحتل الصدارة داخل مركز بودينار.

إذن فمركز بودينار يواجه تحدي عمراني حقيقي في ظل غياب وثائق التعمير في الوقت الراهن، والتوسع العمراني في المركز يتميز بتصنيف في نسيجه العمراني على الطرق الرئيسية وبعض الأزقة الأخرى المرتبطة به فقط، لكن الأجزاء الأخرى تطبعها العشوائية مما ينعكس سلبا على المشهد العمراني بصفة عامة ومختلف التجهيزات والبنيات الأخرى بصفة خاصة. حيث يغيب التخطيط العمراني اللازم لمسايرة هذا التوسع وتقنينه الأمر الذي يحول دون تأهيل النسيج العمراني بمركز بودينار وتحقيق تنمية عمرانية حقيقية.

2-2-4-2- هوامش مركز كرونة وتعمير ذاتي سريع

إن كان التعمير بمركز كرونة يتميز بنوع من التنظيم في مختلف محاوره الرئيسية إلا أنه وبخلاف هذا نجده يتميز في العديد من أجزائه بالعشوائية في التوسع و ذلك بسبب عدم تطبيق العديد من مقتضيات تصميم التنمية و ثانيا بسبب عدم تجديد التصميم عند انتهاء صلاحيته (سنة 1991)، وتكمن أسباب هذا التماطل أولا في أسباب مادية سواء كان ذلك من أجل إنجاز التصميم الذي يتطلب تكاليف مالية مرتفعة أو في التكاليف التي تتطلبها إنجاز التجهيزات التي ينص عليها التصميم، هذا بالإضافة إلى مشكل افتقار الدولة لاحتياط عقاري الذي يسمح لها بإيجاد أراضي لتشييد التجهيزات الأساسية، أما السبب الثاني لعدم تطبيق مقتضيات تصميم التنمية القديم يتجلى في تدخل المصالح بين المجلس الجماعي والمنتخبين، حيث يتم منح رخص بناء حتى و إن كانت غير موافقة لشروط تصميم التنمية. هذا كله أفرز مجالا يتميز بالعشوائية من حيث التوسع حيث نجد توسعا حضريا سريعا وبجودة كبيرة من حيث شكل السكن لكن في مقابل ذلك هناك افتقار في جودة تنظيم هذا السكن حيث يفتقر لأدنى التجهيزات الضرورية خصوصا وأن ساكنة هذا المركز تعرف نموا سريعا (انتقل عدد سكان هذا المركز من 1232 نسمة سنة 2004 إلى 2188 سنة 2004 بنسبة معدل نمو 5,91% ليصل عدد السكان سنة 2014 إلى 2585 نسمة) وذلك مقابل تراجع معظم ساكنة الدواوير الأخرى المحيطة به.

3-الخلاصة

مر التوسع العمراني بمركزي بودينار وكرونة بثلاث مراحل أساسية، مرحلة ما قبل 1965 التي تميزت بكون السكن كان يحتل المواقع الجبلية والمواقع الدفاعية من أجل الحماية و مواجهة الأخطار، كما أن السكن في هذه الفترة كان يؤدي وظيفة إيواء الأسر و كذا الحيوانات التي يتم تربيتها ثم تجميع أدوات العمل الفلاحي أي أنه كان ذو وظيفة فلاحية صرفة، ويضم مرافق تقليدية و غير كثيرة تلبي حاجات كثيرة نظرا لتواضع إمكانيات الساكنة الاقتصادية، كما أن هذه المرحلة ارتبطت بوجود المعمّر الإسباني الذي عمل على تحقيق مصالحه الاقتصادية دون تنمية المنطقة، هذه الفترة أفرزت لنا مرحلة تتميز بتوسع عمراني بطيء وسكن ريفي هش يعكس تواضع إمكانيات الساكنة الاقتصادية. ثم مرحلة أخرى وهي مرحلة ما بين 1965 و2001 عرف فيها المشهد العمراني تحولا ملموسا هم عنصر السكن من حيث مورفولوجيته و شكله الداخلي و الخارجي وكذا مختلف تجهيزاته و مرافقه، وبدأت تتشكل النواة الأولى لهذه المراكز إذ أصبح السكن يضاهي نظيره في المجالات الحضرية ثم مرحلة أخرى ما بعد 2001 عرف التعمير خلالها تزييدا سريعا خاصة سنة 2011 إثر ما يعرف "بالربيع العربي" قد ارتبط هذا

التحول بالأساس بالهجرة الدولية و ما خلفتها من عائدات مالية مهمة ساهمت بشكل كبير في عملية التوسع، هذه العائدات التي امتصها قطاع البناء أكثر من أي قطاع آخر جعلت هذه المرحلة تعرف توسع عمراني سريع.

لكن هذا التوسع العمراني السريع لم تواكبه سياسة عمرانية حقيقية تقوم بتوجيه عملية التوسع وتقنيها وتوفير المرافق والتجهيزات الضرورية، هكذا فقد شهد المجال المدروس توسع عمراني عشوائي دون مراعاة مجموعة من الشروط الضرورية التي من شأنها أن تحقق تنمية عمرانية حقيقية، فغياب وثائق التعمير بالجماعتين ساهم بشكل كبير في استمرارية عملية التوسع العشوائي.

وقد عرف السكن بمركزي بودينار وكرونة مجموعة من التحولات التي لم تكن سائدة من قبل ارتبطت بتحسين المستوى المعيشي للسكان وبغزو مجموعة من السلوكات الحضرية للمجال المدروس بثقافة دخيلة عن التراب المحلي، وذلك بانفتاح المنطقة عن المحيط الخارجي هذه التحولات التي أصبحت تتماشى والمستويات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة التي أصبحت عليها ساكنة المركزين و المهاجرين على حد سواء، تمثلت هذه التحولات في عمارة السكن و بنياته و تجهيزاته كتقلص نسب السكن الريفي الذي حلت محله الدور المغربية وكذا انتشار السكن الصلب و ذلك بتوفر مواد بناء حديثة، و سيادة الملكية الخاصة للسكن بعدما كان السكن الريفي يضم عدة أسر ، هذا بالإضافة إلى مجموعة من التحولات الأخرى التي همت المورفولوجية الداخلية من خلال تطور مجموعة من المرافق و التجهيزات التي أصبح يتوفر عليها السكن العصري.

قائمة المراجع

- بلال بوجي 2011، التوسع العمراني وإشكالية إعداد المجال داخل حوض بودينار، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد الأول كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول بوجدة - المغرب ؛
- بوظيلب الحسين، 2010، الهجرة الدولية بالريف الشرقي و إنعكاساتها، مجلة أسيناك عدد مزدوج 4-5 ص 63-78 المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط - المغرب؛
- عبد العزيز أشرفي، 2009، الحكامة الجيدة الدولية-الوطنية-الجماعية و متطلبات الإدارة المواطنة، الطبعة الأولى، منشورات دار السلام الرباط - المغرب
- علال الزروالي، 2005، تحولات السكن الريفي بالريف الشرقي، منشورات مجموعة البحث الجغرافي حول جبال الريف بالمغرب سلسلة دراسات مجالية رقم 2، جامعة عبد المالك السعدي تطوان - المغرب؛
- محمد اليبدي 2009، التوسع الحضري لمدينة الناظور بين واقع الحال ووثائق التعمير باعتماد نظم المعلومات الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول وجدة - المغرب
- المصطفى اليزيدي 2004، التنمية وإعداد المجال الحضري: الجهة الشرقية بين حداثة التمدن وصعوبات التنمية بحث لنيل دكتوراه الدولة في الآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول وجدة - المغرب
- المصطفى شويكي، 1996، الدار البيضاء مقارنة سوسيو مجالية، سلسلة الأطروحات والرسائل:1 جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء؛
- H.ABASSI.1987, « essai sur la dynamique des milieux dans le bassin de boudinar (rif oriental, Maroc), thèse en vue du doctorat de l'université louis pasteur, centre d'études et de recherches eco-geographiques strasbourg1 – France